

نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

## نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

أ . م . د . عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

جامعة الانبار /كلية العلوم الاسلامية / قسم العقيدة

### المقدمة

الحمد لله مستحق الحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله واصحابه وبعد :  
إن المسائل الكلامية كانت ، ولا زالت مثار اهتمام الباحثين من مختلف الديانات ، كما كانت موضع خلاف كبير بين جميع الفرق الإسلامية ، وخاصة الجبرية ، والمعتزلة ، وأهل السنة من الأشاعرة ، والماتريدية والسلف ، بل وما زالت هذه المسائل قيد البحث ، وتشغل العقل الإنساني ولعل السبب في ذلك أن آيات القرآن الكريم أكدت على حرية استعمال العقل والاجتهاد في التحليل والاستنباط اضافة الى تأثر الفكر الكلامي بتراث الحضارات السابقة والديانات مما اوجد مباحث لم تكن من صلب العقيدة الاسلامية فرضت عليهم تحديات فكرية داخلية تطلبت من المفكرين الاسلاميين بذل الجهود ومواجهة التحديات دفاعا عن العقيدة الاسلامية .

وعند النظر في آرائهم نجد ان الاجتهادات كان لها نصيب كبير وكان الدفاع عن العقيدة الاسلامية هي شغلهم الشاغل في استنباط الأفكار والآراء والنظريات للدفاع عن العقيدة .  
تناولنا في هذا البحث تعريفات في علم الكلام مثل الجوهر والعرض وغيرها والتي لا بد لدارس العقيدة الإسلامية من معرفة مبادئها ومعرفة آراء الفرق الإسلامية في تحديد هذه المفاهيم وما تحتويه من قواعد كلية لفهم المسائل الكلامية .

وتكمن أهمية البحث أيضاً في توضيح قضية العادة عند الفرق الإسلامية بين المؤصل لها كونها ركنا اساسيا تبيين وجهة نظر الفلاسفة والمتكلمين ولسنا بصدد الترجيح بين الآراء بقدر ما كانت غاية الباحث هي العرض لتلك الآراء والتعرف كذلك على بعض أقوال الفلاسفة وأثرها على بعض علماء الإسلام من الفلاسفة الإسلاميين .

وقد قمت بجمع النصوص ذات الصلة ودراستها دراسة تحليلية والمقارنة بينها عند الفلاسفة والمتكلمين وقسمت البحث الى مقدمة ومبحثين فكان المبحث الاول بعنوان مبادئ الفلسفة اليونانية وعلم الكلام والمبحث الثاني بعنوان نظرية الخلق المستمر ثم الخاتمة فالنتائج .

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

## المبحث الاول : مبادئ الفلسفة اليونانية<sup>١</sup> وعلم الكلام

للفلاسفة اليونانيون مجموعة من المبادئ والمباحث في الالهية سنحاول ان نوضحها لأنها كانت لها التأثير الكبير على المتكلمين المسلمين ومنها :

### أولاً : الحدوث

الحدوث لغة: " هو نقيض القدم وحدث الشيء فهو محدث "<sup>٢</sup>.

في الحقيقة يؤكد الفلاسفة اليونانيون على ان العالم يرجع في اصله الى الماء والهواء والنار والتراب وهي قديمة ومنها يتألف العالم .

لقد اختلف فلاسفة اليونان على آراء ولكن اغلبهم قال " ان العالم وقد وجد مع وجود الباري وهو قديم وانه معلول للعللة الاولى ، وهناك من الفلاسفة لا يعلم هل ان العالم قديم كقدم الله ام انه محدث اي مخلوق مثل جالينوس "<sup>٣</sup> .

ويعد اتباع المدرسة المشائية وعلى رأسهم ارسطو اشهر من قال بقدم العالم حيث يقول ابن تيمية : " ان هناك قبل ارسطو من قال بقدم العالم "<sup>٤</sup>.

وبهذا يتبين لنا ان هناك من الفلاسفة اليونانيين من يقول بقدم العالم وان هناك قوة فاعلة هي من ابدعته .

فالفلاسفة المسلمون يقولون صدر العالم بإرادة الله تعالى بعد ان لم يكن على عكس الفلاسفة اليونانيين الذين يقولون بقدم العالم وانه صدر عنه تعالى بدون اختياره.

والحدوث على منهج المتكلمين : هو " ان الله هو من اوجد الوجود بعد ان لم يكن موجودا ويعد ان اوجد الجوهر الذي يفنقر الى العرض وكلاهما من خلق الله وذلك بافتقارهما له وكونهما كانا مسبوقين بالعدم الزماني "<sup>٥</sup> .

يعد مبحث قدم العالم من اهم مسائل علم الكلام التي اخذت من المسلمين شوطا كبيرا في التمحيص والبحث والاجتهاد والتأثر بالفلسفة اليونانية للخروج بفكر كلامي مؤطر بالمنهجية الاسلامية تتوافق مع ما يريده الشارع تعالى .

<sup>١</sup> الفلسفة باليونانية محبة الحكمة والفيلسوف هو فيلاوسوفا وفيلا هو المحب وسوف الحكمة أي هو محب الحكمة والحكمة قولية وفعلية.

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محم سيد كيلان ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ٥٨ / ٢

<sup>٢</sup> لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، لبنان ، بيروت ، ١٣١ / ٢

<sup>٣</sup> ينظر : تهافت الفلاسفة ، محمد بن محمد الغزالي ، دار الكتاب العلمي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٢ .

<sup>٤</sup> ينظر : الصفدية ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، تحقيق محمد رشاد ، دار الهدى ، المنصورة ، مصر ، ٢٠٠٠ ، ١ / ٢٣٦-٢٣٧

<sup>٥</sup> ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ،

١٤١٠هـ ، ص ٢٧١

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

ولذلك قال الشهرستاني " ان الباري هو من احدث وابدع العالم وهذا كلام اهل الحق من بين الملل كلها " <sup>١</sup>.

لقد تعرض منهج الفلاسفة في الإلهيات بشكل خاص إلى نقد كبير زلزل بنيانه من القواعد، لقيامه على أصول فاسدة، غير مسلمة في العقول، ولتناقض أدلته واضطرابها. وانبرى كثير من العلماء للرد على الفلاسفة، مبينين فساد منهجهم، ومن هؤلاء: الغزالي وابن تيمية وغيرهم، بل أن ابن رشد وهو من الفلاسفة القائلين بأزلية الحدوث قد رد على الفلاسفة في بعض ما ساقوه من أدلة على وجود الله . أما الغزالي فقد ألف كتابه تهافت الفلاسفة كما يقول للرد على الفلاسفة ، مبيناً تهافت عقيدتهم وتناقض أدلتهم فيما يتعلق بالإلهيات، كاشفاً عن مذهبهم وبيان سقوطه عند النقد في ضوء بديهيات المتكلمين المسلمين .

ولم يقتصر الغزالي في كتابه بالرد على فلاسفة اليونان بل رد على فلاسفة مسلمين ، وخاصة الفارابي وابن سينا، عاداً أن " ان الآراء التي وردت عن الفارابي وابن سينا لم تكن اراءهم الخاصة بهم وماهي الا نقولات عن الفلاسفة اليونانيين " <sup>٢</sup> .

### ثانياً : التجزئة

فرضية الجوهر الفرد والأعراض

أ - الجوهر

الجوهر هو أول المقولات، بل هو علة سائر المقولات، فأية مقولة من المقولات لا يمكن أن تعرف إذا لم نعرف الجوهر " .... اي ان معرفة الجوهر يجب ان تتقدم على كل المقولات لأنه علة لكل الموجودات " <sup>٣</sup>.

والجوهر عند الفلاسفة له تعاريف عدة ولكن ما يهمنا في بحثنا هو انه :

" ان الجوهر هو المستغني بنفسه الذي لا يحتاج لغيره كي يقوم به " <sup>٤</sup> .

اي ان ماهيته تختلف عن باقي الماهيات .

والجوهر الفرد: بمعنى أنه الجزء الذي لا يتجزأ وأسموه الجوهر الفرد. أو الذي لا يقبل القسمة إلى أجزاء في مقابل الجسم الذي ينقسم إلى أجزائه، والجوهر عند المفكرين المسلمين بحسب النظرية اليونانية، هو ما يقوم بذاته وما ليس محتاجاً إلى غيره في وجوده ،

<sup>١</sup> ينظر : نهاية الاقدام في علم الكلام ، الشهرستاني ، ص ٢٣

<sup>٢</sup> ينظر: المصدر السابق ، ص ٧٧-٧٨.

<sup>٣</sup> ينظر : تفسير ما بعد الطبيعة ، ابن رشد ، تحقيق :موريس بويج ، بيروت ١٩٥٢ ، ص ٧٥٨.

<sup>٤</sup> ينظر: مقاصد الفلاسفة ، محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : احمد فريد ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ ، ص ٦٨.

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

فقد قال النسفي: " العالم مخلوق ومركب من جواهر واعراض وهو يقوم بنفسه واما ان يكون مركب او بسيط والجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ " <sup>١</sup> .

إن أرسطو كان يركز في موضوع الإلهيات على إثبات جوهر دائم غير متحرك، ومن هنا فقد استهل فلسفته الإلهية بقوله: " ان الحركة هي اول الموجودات التي هي عرض للجوهر ، والزمان والحركة ازليان وهي ازلية وقياسها بالزمن وبذلك تكون هناك جواهر غير متحركة لا تفسد " <sup>٢</sup> .

ولكن جل المتكلمين المسلمين كان لهم رأي اخر فقد رفضوا رأي ارسطو وقالوا بإمكانية انقسام الشيء الى اجزاء متناهية بالصغر الى ان تصل الى جزء صغير غير قابل للتجزئة اسمه بالجوهر الفرد وله تقسيم عند المتكلمين ، يقول الباقلاني " المحدثات مكونة من جسم وجوهر وعرض قائم بالجوهر وجوهر منفرد " <sup>٣</sup> .

ويقول الأشعري " فقال -أبو الهذيل- ان الله سبحانه يجوز ان يقسم الجسم الى جزء لا يتجزأ بحيث لا تكون له ابعاد كما هي الخردلة ان تقسم الى اجزاء الى حد الجزء الذي لا يتجزأ " <sup>٤</sup> .

واتفق المتكلمون المسلمون على أن الأجسام تنتهي في الانقسام حتى تصير أجزاء متناهية وقال محمد عابد الجابري " الى أن خلفية قول المتكلمين بتجزئة الأشياء حتى تصير إلى الجزء الذي لا يتجزأ هي في قوله تعالى: " وأحصى كل شيء عددا " <sup>٥</sup> ، واعتمد المتكلمون عليها في هذا القول " <sup>٦</sup> .

فالجواهر لا تأخذ هويتها إلا بتحملها لعرض.

والجواهر باقية لا تتغير ولا تتبدل ولذلك يقول الجويني : " ان الجواهر لا تتجدد وهي باقية ، وقال النظام انها تتجدد حالا فعال " <sup>٧</sup> .

<sup>١</sup> ينظر : المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، سيف الدين الأمدي ، تحقيق: حسن الشافعي- مكتبة وهبة القاهرة ، ١٩٩٣، ص ١١

<sup>٢</sup> ينظر: الفلسفة اليونانية ، د. يوسف كرم ، دار العالم العربي ، ص ٢٣١

<sup>٣</sup> تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي "المتوفى:

٤٠٣هـ" ، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣٧

<sup>٤</sup> ينظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق: هلموت ريتز ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٣١

<sup>٥</sup> سورة الجن: ٢٨.

<sup>٦</sup> انظر : بنية العقل العربي ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩، ص ٩٠.

<sup>٧</sup> ينظر : الشامل ، الجويني، ، ص ١٦٠.

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

وقد عارض ابن حزم نظرية الجوهر الفرد بقوله : " .هل الجزء الذي لا يتجزأ هل هو ملاقي لأية جهة من الجهات وهل جهة الشرق منه مواجهة للغرب او المواجه للسماء هو نفسه المواجه للارض وهذا يعني ان له ستة اوجه واذا قلتم لا ليس له جهات لا فقد بطل قولكم به " .<sup>١</sup>

ناقش ابن رشد قول المتكلمين بالتجزئة إلى ما له نهاية وقد رفض التجزئة ومبدأ الجوهر الفرد إذ يقول : " ان وجود اعراض مرتبطة بالجوهر وهو جزء لا يتجزأ ، ففي هذا اقوال مختلفة عند المتكلمين ولا يمكن ان نصل الى حقيقة ذلك والقضية كلها تحتاج براهين ولا توجد لديكم لقلة من يعمل به " .<sup>٢</sup>

ثم يتعرض ابن رشد لمناقشة دليل المتكلمون الأشعرية فيقول : " عند الاشاعرة ان الاجسام بعضها اكبر من بعض ولو قمنا بتقسيمها الى ما لا نهاية لكانت اجزاء الجسم الصغير مساوية للكبير مثلا - النملة والفيل - وهذا يعني انهما متساويان بالحجم وهذا خلاف الواقع وعليه فلا بد ان تكون الاجسام مؤلفة من عدد محدود من الاجزاء بعضها اكبر من بعض كما نشاهده في الواقع " .<sup>٣</sup>

ونستنتج من كلام ابن رشد ما يلي :

- ليس معروفا بوجود جوهر غير قابل للإنقسام .
- في حالة التأكيد على هذا القول فهناك آراء تضاد هذا الكلام .
- لا يمكن اخذ الحقائق من علم الكلام لأنها قضايا تعتمد على البراهين .
- ان الادلة الخطابية للأشاعرة لا تفي بالغرض او الموضوع .

و بهذا الاستنتاج نجد ان ابن رشد قد رفض القول بمبدأ التجزئة والانفصال وما قام عليه من مفهوم الجوهر الفرد.

ويقول ابن تيمية عن الجوهر الفرد : " عند تقسيم الاجسام الى اجزاء متناهية بالصغر فانها في النهاية سوف تستحيل الى اشياء اخرى وليس هناك شيء غير قابل للقسم الى مالا نهاية بل انه يقبل القسمة الى حد ما من الصغر ثم بعدها يستحيل الى شيء اخر " .<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت ٤٥٦ هـ - مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٦٣/٥

<sup>٢</sup> ينظر : الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، أبي الوليد بن رشد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص ٣٥ .

<sup>٣</sup> ينظر : الكشف عن مناهج الأدلة ، ص ٢٩-٣١

<sup>٤</sup> ينظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ٢٨٥/١

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

اي ان الاستحالة امر حتمي لكل تقسيم للأجسام مهما كانت هذه الاجسام بالغة في العظم والتي في النهاية سوف تستحيل الى شيء اخر .

ان الاشاعرة عندما قاموا بتقسيم الاشياء الى جواهر واعراض من اجل ان يكون التغيير والتبديل هو من حق الخالق وحده وجعلوها لذلك متجددة لا تبقى زمانيين وهم بذلك كي يثبتوا صفة القوامة لله تعالى على المخلوقات اجمع .

### ب- العرض

جاء في المعجم الوسيط : " هو ما يقوم بغيره كالألوان والاطوال وما يظهر على المريض من العلامات وهو ما يكون ضد الجوهر"<sup>١</sup>.

العرض عند الفلاسفة:

" هو الذي يحل في موضوع"<sup>٢</sup>

وعند المتكلمين عامة: " هو المعنى القائم بالجواهر"<sup>٣</sup> .

عرفه الأشاعرة : " بأنه ممكن موجود قائم بغيره فالجوهر وهو المتحيز"<sup>٤</sup>

ولذلك فالعرض لا يقوم بنفسه بعكس الجوهر القائم بنفسه عند الفلاسفة والمتكلمين حيث أن بعض الأعراض تدرك بالحواس الظاهرة كالصوت والحلاوة والألوان وغيرها ، وبذلك تشمل الاعراض حتى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق .

قال القاضي عبدالجبار أنها " الطعم واللون والحرارة والبرودة والرائحة والصوت والالام"<sup>٥</sup> .

وعرفه الباقلاني بأنه هو " ما كان ملازماً للجوهر ولا يبقى زمانين"<sup>٦</sup>

قال الإمام الأشعري : " تباينت آراء المتكلمين حول الاعراض هل تفنى ام لا :

- منهم من قال انه ما يجوز فناؤها يجوز بقاؤها
- ومنهم من قال ان الاعراض تنعدم اي انها تفنى
- ومنهم من قال ان الاعراض قد لا يجوز فاؤها ومن كان جائزاً للفناء يفنى"<sup>٧</sup> .

<sup>١</sup> المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤ م ، ٥٩٤/٢ .

<sup>٢</sup> مقاصد الفلاسفة ، محمد بن محمد الغزالي ، مصدر سابق ، ص ٦٨

<sup>٣</sup> ، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، المكلائي ، تحقيق فوقية حسين ، محمود، الطبعة الأولى، دار الأنصار ، مصر ، ١٩٧٧ ، ص ٣٦ .

<sup>٤</sup> ، القول السديد في علم التوحيد، محمود أبو دقيقة ، تحقيق عوض جاد الله ، الجزء الأول ، الإدارة العامة لإحياء التراث ، ١٧٢/١ .

<sup>٥</sup> شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي "ت ٤١٥ هـ" ، دار المصطفى ، شبرا ، القاهرة ، ص ٩٢ .

<sup>٦</sup> ينظر : تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني المالكي ، تحقيق: تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، لبنان ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٨ .

<sup>٧</sup> مقالات الإسلاميين ، الأشعري ، ٢ / ٢٦٩ .

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

ويمكن توضيح رأي الأشاعرة بأن الله تعالى يخلق الجواهر ومعها الاعراض التي تفنى بصورة مستمرة فيخلق الله غيرها وهكذا فإن اراد لها الفناء لم يعد يجدد فيها الاعراض فتموت وتفنى .

ويمكن القول ان الغرض من قول الأشاعرة بفناء الاعراض وتجدها هو ردا على كلام الملاحدة بقدم العالم وانكارهم لوجود الله تعالى ، لأن فناء الاعراض وتجدها يدل على ان العالم حادث وكل حادث بحاجة الى محدث والمحدث هو الله تعالى .

وقال الإيجي " يرى الامام الأشعري ومن يتبعه ان الاعراض فانية ولا تبقى زمانين وكل منها ينقضي بإرادة الخالق وبالوقت الذي يريد وذلك وعدم بقائها زمانين كونها محتاجة للمؤثر ولو اكتفت بنفسها لما عادت بحاجة للباري تعالى عدما او وجودا ولذلك قالوا ان الجوهر باق لأن العرض باق معه ولما كان العرض متجدد بإحتياجه الى المؤثر كان الجوهر ايضا محتاجا لذلك المؤثر " <sup>١</sup> .

وكما مر من كلام الإيجي اعلاه هو انهم لا يرون اثرا لمؤثر غير الله تعالى ولو ان الاعراض بقيت ولم تفنى لإستغنت عن الخالق تعالى وهذا محال .

قال ابن حزم في الرد عليهم : " بقولهم ان الارواح اعراض لا تبقى زمانين وهي فانية وعند موت الانسان لا تبقى له روح اصلا وروحه الان غير روحه قبل قليل حيث تحدث له روح وتفنى ثم تحدث له وتفنى وهكذا يبديل الانسان روحه الف الف روح في الساعة الواحدة وهذا رأي فاسد وتخليط " <sup>٢</sup> .

وهذا يعني ان روح الحي تتبدل الى ما لانهاية من الارواح لأن العرض لا يبقى زمانين وحتى الانفاس التي تخرج هي ليست نفس الانفاس التي تدخل بالتنفس ويرد كذلك ابن تيمية على الأشاعرة في موضوع فناء الاعراض بقوله : " بقولكم ان العرض لا يبقى زمانين هي مخالفة للحس وما هو معروف عند العقلاء حيث انكم بقولكم هذا تعنون ان لون السماء والجبال هي غيرها في كل لحظة ومما الجأ الأشاعرة لذلك هو حيرتهم في كيف يفنى الله الخلق وكيف يحدثه حيث انه يقطع الاعراض فتفنى او يبقيا فتبقى وذلك بظنهم ان الحوادث لا تحتاج لله الا عند خلقها والا فأن بقاء الحوادث لا يحتاج الى الله بزعمهم وعليه لا بد من افنائها وهذا من الاقوال الباطلة " <sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> ينظر : المواقف ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار ، أبو الفضل ، عضد الدين الإيجي ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجبل ، ط ١ ، لبنان - بيروت ، ١٩٩٧م ، ٤٩٨/١ .

<sup>٢</sup> ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي ، ٥٨٤ .

<sup>٣</sup> ينظر : مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، ١٦ / ٢٧٥ .

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

وبهذا يتأكد لدينا قول الأشاعرة ان العرض يحتاج لوجوده الى محل او جسم يقوم به ، وان و  
الأعراض لا تبقى زمانيين .

والذي دعا المتكلمين إلى القول بتجدد الأعراض كي لا يقال أن هذا الجسم تقتضي طبيعته  
اعراض معينة ، وان الله هو من يوجد هذه الاعراض في الجواهر ، واذا شاء ان يعدمه ازال  
تلك الاعراض عنه .

وقد سميت نظرية فناء الاعراض المتجدد وعدم بقاؤها بنظرية الخلق المستمر<sup>١</sup>.

لقد نفى المتكلمون المسلمون القول بالطبائع الاربعة التي قال بها الفلاسفة وهي الماء والهواء  
والتراب والنار والتي اعتبروها اصل العالم وان لها القدرة على الفعل ولذلك قال الامام  
الباقلاني " القول بالطبائع الاربعة التي يتألف منها العالم هو قول باطل "<sup>٢</sup>.

بل ان بعض متكلمي عصرنا بعد هذه النظرية طفرة نوعية يتميز بها الفكر الكلامي عند  
المسلمين لأن مسألة الطبائع الاربعة التي جاء بها الفلاسفة اليونانيون قد اثرت على الكثير  
من العلوم ويعد هذا دلالة على نفي تقليدهم الفلاسفة اليونانيين وظهور فلسفة اسلامية  
خاصة بالمسلمين "<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> حوار الفلاسفة والمتكلمين ، حسام الألوسي ، الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٦٨ .

<sup>٢</sup> ينظر : تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ، القاضي أبو بكر الباقلاني ، ص٥٦ .

<sup>٣</sup> ينظر : بنية العقل العربي ، محمد عابد الجابري ، ص١٩١ .



نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

## المبحث الثاني : نظرية الخلق المستمر

### المطلب الاول : نظرية الخلق

ان نظرية الخلق المستمر كانت محاولة جادة للمتكلمين المسلمين للرد على الملاحظة ممن يجعل للأسباب الدور الكبير بل والاول في نشأة الحياة وتطورها . وساهمت هذه النظرية في بلورة افكار الاشاعرة وحددت كثيراً من معالم مذهب الأشاعرة متأثرة بمجموعة من الآراء والمفاهيم التي سبقتها في محيط المجتمع آنذاك ، ومن ذلك ما يأتي :

#### ١- مسألة تأويل الصفات الخبرية

الصفات الخبرية هي التي وردت عن طريق السمع بنص القران الكريم او خير النبي صلى الله عليه وسلم ان الكتاب والسنة هما مصدرهما الوحيد وهي ما تعرف ايضا بالنصوص المتشابهة ومن ذلك صفة اليدين والعينين والوجه وغيرها . ان السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم كانوا يفوضون الآيات المتشابهة ويكلونها الى علم الله تعالى وتزيهه عن الخوض بالمتشابهات ولكن بعد القرن الثالث الهجري نتيجة لظروف المجتمع انذاك لم يعد يكفي التفويض فبدأوا التأويل التفصيلي، وكانت لهم آراء فيها وهي بلا شك تنطلق من التزيه المطلق لله عزوجل عن التجسيم . قال أبو القاسم الأصبهاني : " ما كان في عهد الصحابة والتابعين كلام عن الجواهر والاعراض فهم اما إنهم كانوا عالمين به وسكتوا عنه او لم يكونوا عالمين به فليسعنا ما وسعهم ولا نعلم ما لم يكونوا " .

#### أ- الاشاعرة

أخذ تأويل الصفات حيزا كبيرا عند الاشاعرة كونهم يرون ان الصفات اعراض تتصف بها الاجسام وهي فانية وان الاجسام متشابهة والباري تعالى ليس جسما ولا بد من تأويل هذه الصفات.

ولقد نص العلماء الاشاعرة على أن مذهب التأويل منقول عن السلف الصالح، وأخذ جمهورهم بمذهب التفويض - وهو ما يسميه العلماء تأويلاً إجمالياً- لا ينفى أخذ جماعاتٍ

<sup>١</sup> ينظر : الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني ، الملقب بقوام السنة ، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ، دار الراجية ، ط ٢ ، السعودية - الرياض ، ١٩٩٩م ، ص ٩٩- ١٠٠

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

منهم بالتأويل، ومن ذلك تأويل ابن عباس رضي الله عنهما للفظ " الساق بشدة الأمر، وكذلك مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم " <sup>١</sup>.

وفي ذلك يقول الامام الأشعري " اجمع الصحابة الكرام على انه تعالى ليس جسماً ولا جوهر وان له يدين مبسوطتين وانه يسمع ويرى وان السماوات مطويات بيمينه وانه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً ومحيئه ليس حركة او نقلة وقد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل ينزل الى السماء الدنيا " <sup>٢</sup>.

قال الإمام الغزالي : " ان القول بالتأويل اصبح في هذا الزمان ضرورة بعد ان فشا الكلام فيه عند الناس بعد ان لم يكن موجوداً عند الاوائل خوفاً من الفتنة وتحريك هواجس النفوس والشكوك في القلب ولذا كان من الضرورة اماطة اللثام وتفنيده الاوهام الباطلة عن القلوب " <sup>٣</sup>  
قال ابن الجوزي : " ان التأويل المؤدي الى خالص التوحيد والتنزيه خير من التشبيه عند من ان لم تستطع التخلص من اوهام التشبيه " <sup>٤</sup>.

والى هذا ذهب شيوخ المذهب المتأخرين ومنهم الامام الجويني والامام الغزالي في ، وعبد القاهر البغدادي و الأمدي والامام الرازي.. حيث حملوا ألفاظ الجوارح وأولوها كالعينين بالبصر واليد بالقدرة والوجه بالوجود وكان هدفهم هو تنزيه الخالق تعالى عن مشابهته للخلق وذلك بارجاعها الى الصفات المعنوية .

والى هذا المعنى يشير صاحب جوهرة التوحيد بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها == أوله أو فوض ورم تنزيها

ب : المعتزلة

اتفق المعتزلة على الإقرار بأن الله تعالى لم يزل موجوداً قبل الخلائق، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، وأنه تعالى يتصف بهذه الصفات الأربع لذاته، وليست زائدة على الذات، فراراً من تعدد القدماء. وما سوى هذه الصفات مما ورد في الكتاب والسنة فإنهم يتأولونه، ويصرفونه عن

<sup>١</sup> جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري "ت ٣١٠هـ" ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ٢٩ / ٣٨ ، القرطبي ١٨ / ٢٤٩  
<sup>٢</sup> ينظر : رسالة إلى أهل الثغر، الامام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق : عبدالله شاکر محمد الحيدري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ص ٢٢٥.

<sup>٣</sup> ينظر : الجامع العوام ، الامام الغزالي ، ص ٢٨

<sup>٤</sup> ينظر : مجالس ابن الجوزي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ص  
<sup>٥</sup> جوهرة التوحيد من نظم إبراهيم بن إبراهيم بن حشش اللقاني (ت ١٠٤١ هـ) وهي منظومة في العقيدة على طريقة السادة الأشاعرة، تحتوي على ١٤٤ بيتاً، شرحها كثير من العلماء.

## نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

ظاهره إلى مجازة فقال القاضي عبد الجبار : " ان صفة الله القادر هي اول ما يجب معرفته عن صفات القديم عز وجل وغير هذا من الصفات يترتب عليها " <sup>١</sup> .

اي انهم يرون هذه الصفات اعراض ولا بد من تأويلها كي لاتوهم التشابه بين الخالق تعالى والمخلوق والاعراض حادثه وهي تحتاج الى محدث لا يشبه الحوادث وهو الله تعالى . بالإضافة إلى زعم المعتزلة أن الصفات لا تقوم إلا بأجسام، فهم أيضاً يزعمون أن في إثبات الصفات قول بكثرة وتعدد ذات الله، لأنهم يقولون : " ان تثبت لله صفة ازلية قديمة فهذا يعني انك اثبت له تعالى إلهين " <sup>٢</sup> ، كما اعتقدوا أن الصفات لو شاركتها في القدم لشاركتها في الألوهية .

ولكن ابن تيمية يرد على الاشاعرة والمعتزلة ويقول انهم بنوا اعتقادهم " ان الصفة عرض وهي من مستلزمات الجوهر، وهذا يؤدي يزعمهم الى التشبيه والتجسيم للباري تعالى لذلك لا تقوم به صفات " <sup>٣</sup> .

### ٢- مسألة المعاد

أ - عند الاشاعرة

المقصود بالمعاد احياء الله الموتى واخراجهم من القبور ؛ وقد اتفق المحققون من الفلاسفة على ان البعث حق واقع لا محالة ؛ الا انهم اختلفوا في كيفية المعاد . ان الأشاعرة غير موافقين لبقية المتكلمين في هذه المسألة ، وآراءهم مبنية على نظرية في الجوهر الفرد وما تحمله من أعراض ، فالكلام عن البعث والإعادة معناه الكلام عن إعادة تلك الجواهر الفردة .

حكم الغزالي على الفلاسفة لإنكارهم المعاد الجسماني وبعث الاجساد وعودة الارواح اليها بالكفر فقال " عن الفلاسفة انهم انكروا حشر الاجساد وان العقوبات تكون على الروح وليس على الجسد وهم صدقوا في بعث الأرواح ولكنهم كذبوا في انكارهم حشر الاجساد وكذبوا بالشريعة بكلامهم هذا " <sup>٤</sup> .

وقال الإمام الغزالي: " ان الله يعيد الاجزاء بعد ان كانت متناثره كما يخلقه اول مرة وسمي اعادة نسبة للخلق اول مرة والقادر على الخلق قادر على الاعادة " <sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> ينظر : شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار بن احمد الاسد ابادي "ت٤١٥" ، تحقيق: فيصل بدير عون ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٩٨م ، ص١٥١ .

<sup>٢</sup> ينظر الملل والنحل ، للشهرستاني ، ٤٦-٤٤/١ .

<sup>٣</sup> ينظر : الفتاوى ، ابن تيمية ، ٢٢٠/١ .

<sup>٤</sup> ينظر : المنقذ من الضلال ، الامام الغزالي ، تحقيق جميل وكامل عيلد ، دار النة بيروت ص٤٢ .

<sup>٥</sup> الاقتصاد في الاعتقاد ، الامام الغزالي ، ص ١٣٤ .

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

وعرف التفتازاني الحشر بأنه : " اعادة الاجسام بأجزاءها الاصلية وليس للاجزاء الفاضلة " <sup>١</sup> ، وعرقه الرازي بأنه : " اخراج الموتى من قبورهم واحياءهم وجمع كل اعضائهم الاصلية وحتى الظفر " <sup>٢</sup> .

### المعتزلة

ويقول القاضي عبد الجبار: " لا بد في إعادة الحي المخصوص بأجزائه، لأن الحي هو الجسم المبني بنية مخصوصة " <sup>٣</sup> .

إلا أن القاضي عبد الجبار يرى أنه ليس من الضروري إعادة كل أجزاء الإنسان، بل هي أقل الأجزاء بشرط أن يكون الإنسان بها حيا، وما عدا ذلك " فأنه تعالى بيده الامر ان اراد ان يعيد نفس الاجزاء لبدن الانسان سابقا او غيرها بدلا منها " <sup>٤</sup> .

والحقيقة ان من قال بمبدأ الجوهر الفرد اختلفوا في كيفية حشر الاجساد . يقول ابن تيمية " عن من قال بالجواهر الفرد بأنه اما ان يتم اعدام الجوهر ليكون بدلا منه جوهر جديد او ان يتم جمع الاجزاء التي تفرقت " <sup>٥</sup> .

ويقول ابن تيمية عن حشر الاجساد عند الاشاعرة واضطرابهم فيها حسب قوله " انه الله تعالى هل يعدمها اي الجواهر مع اعراضها واذا اعادها ثانية عادت مع الاعراض ام ان الجواهر باقية وان الفاني هي الاعراض التي تفرقت في غيره واصبحت جزء من الكائن التي تغذى عليها واصبح الانسان ترابا وفي هذا تناقض اذا ان الجواهر تم اعدامها بأن استحالت او ان الانسان يبقى ترابا وتبقى الجواهر باقية " <sup>٦</sup> .

وهناك من الفلاسفة المسلمين من انكر البعث اللاجسماني

ومنهم ابن سينا بقوله: " ان المعاد يكون نفساني بعد ان يبطل المعاد الجسماني وليس هناك تناسخ للنفس الانسانية وبهذا يكون المعاد نفساني فقط " <sup>٧</sup> .

<sup>١</sup> ينظر : شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني " ت ٧٩١ هـ " ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، باكستان ، ١٥٢/٢ .

<sup>٢</sup> ينظر : الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين الرازي ، دار الجيل ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٩٢ .

<sup>٣</sup> المغني، القاضي عبد الجبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢ م، ٤٦٧/١١ .

<sup>٤</sup> ينظر : المغني، القاضي عبد الجبار، ٤٧٨/١١ .

<sup>٥</sup> ينظر : تفسير سورة الاخلاص ، ابن تيمية ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ص ٣٤

<sup>٦</sup> ينظر : النبوات ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين ، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان ، أضواء السلف ، ٢٠٠٠ م ، ٣١٧/١

<sup>٧</sup> ينظر : الأضحوية في المعاد لابن سينا، د.حسن عاصي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ م ، ص ١٢٦

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

وبذلك يتبين لنا ان ابن سينا يميل الى ان البعث هو روعي وليس جسدي وهو ما سماه بالنفس من كلامه اعلاه

وكذلك السهر وردي بقوله : " عندما يفسد الجسم فأن النفوس المجردة تتجذب لعالم النور بعد ان تتخلص من عالم الاجساد وبذلك تصير الى عالم القدس عالم الانوار الاسبيدية " <sup>١</sup> .

وهو يعني بهذا ان النفوس ترتقي بناءا على ما كانت عليه في الحياة الدنيا من السمو والزهدي .

### الامامية

قال العلامة الحلي : " في دين النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم من الحكمة امكانية وجوب وثبوت ضرورة البعث الجسماني " <sup>٢</sup> .

وقال العلامة المجلسي : " ان الآيات الكريمة تنص بما لا يقبل التأويل بالمعاد الجسماني والاحبار بذلك متواترة ولا يمكن ردها ومن انكرها لا يعد من المسلمين " <sup>٣</sup> .

و يبدو ان الامامية تنقسم في موضوع المعاد الى اقسام فهم بين من يقول ببعث الجسم كاملا وبين من يقول تبعث الاجزاء الاصلية او رأي قسم منهم كما عند ابن سينا والسهروردي وفي ذلك يقول ملا صدرا " للخروج من هذه الاشكالية هو جمع المعقول والمنقول وعدم التصادم في الآراء وذلك بالقول ان المعاد الجسماني يكون عودة الروح بجسد مثالي " <sup>٤</sup> .

### ٣- طبائع الأشياء :

من المسائل المرتبطة بنظرية الخلق المستمر مسألة طبائع الاشياء التي تنص على النفي لتأثير الأسباب و تنص النظرية على انه ليس للأشياء طبائع خاصة بها فكلها متماثلة مكونة من جواهر لا تتميز عن بعضها البعض سواء كانت طعام او حجر او شجر وغيرها ، والاختلاف بينها ان الله تعالى يخلق اثر لها عقب التعامل بها كالشبع بعد الاكل او القطع بعد الضرب بالسيف وغيرها .

<sup>١</sup> ينظر : حكمة الإشراف ، شهاب الدين السهروردي ، المقالة الخامسة في المعاد والنبوات ، ص ٣٦٦ - ٣٧٤ .

<sup>٢</sup> ينظر : كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي " ت ٧٢٦ " ، تحقيق: السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني ، ط ٤ ، ردمك ، ١٣٧٣ ، ص ٥٤٨-٥٥١

<sup>٣</sup> ينظر : بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام ، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، تحقيق وتصحيح: لجنة لجنة من العلماء والمحققين والاحصائيين ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ٢٠٠٨ م ، ٤٦ / ٦

<sup>٤</sup> ينظر : الأسفار الأربعة ، ملا صدرا ، ج٩ ، ص ١٨٩-٢٠٠

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

كانت ردة الفعل من الاشاعرة تجاه الطبيعيين كبيرة جدا الى الحد الذي جعلهم ينفون الصفات الطبيعية للأجسام ونزع التأثير منها وجعل الامر كله لله تعالى مع اعتقادهم ان الفعل كله بإذنه تعالى وبالنتيجة ليس هناك ترابط بين السبب والمسبب او العلة ومعلولها ولذلك يقول الباقلاني " ان ما نراه من الحس انما يجري مجرى العادة بطريقة التكرار ولا يوجد ضرورة ولا وجوب"<sup>١</sup>.

اي ان التلازم بين الاسباب والمسببات ليس شرطا بدليل جواز انفكاك التأثير والذي يلزم هو العادة فقط .

وفي ذلك يقول البغدادي: " انه جوز الاشاعرة بناء على نقض العادة فإن النار لن تحرق القطن عند الجمع بينه وبينها"<sup>٢</sup> .

ان اعتياد الناس على الاقتران بين الاسباب والمسببات من غير ان يكون لديهم حجة فحكموا عليها بالضرورة وليس لهم الا المشاهدة فيقول الغزالي " ليس ضروريا ان يفتنر السبب بالمسبب ولكن ذلك كان بتقدير الله الذي بإمكانه خلق الموت قبل حز الرقبة او ابقائه حيا بعد حزها او خلق الشبع قبل الاكل ولكن لم يألف الناس هذا"<sup>٣</sup>.

ولذلك قال الايجي " ان الاحتراق بالنار لا يدل على الحصول بها وان دلت المشاهدة على الحصول عند الملاقاة..<sup>٤</sup>" .

اي ان النار لا تحرق وليس لها القدرة ونحن لا نرى من ذلك الا الاحتراق وليس هناك دليل على انها المحرقة ، وبذلك يتبين ان نفي السببية هي سمة بارزة للمذهب الاشعري والادلة الحسية عندهم لا تكفي لإثبات السببية ، ولذلك فإن الاشاعرة ارادوا ان يجعلوا صفة القدرة والاحداث والفعل خاصة بالله تعالى .

وقد رتب الاشاعرة على ذلك بقولهم " يكفر بالإجماع من اعتقد ان الاسباب يطبعها هي التي تؤثر في المسببات كالكسكين بالقطع او النار بالحرق"<sup>٥</sup>.

بينما نجد الامام الجويني يقول بالأسباب تصریحا لا تلميحا بأثر قدرة العبد فقال:

<sup>١</sup> ينظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات ، الباقلاني ، تحقيق ريتشارد مكارثي ، المكتبة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ٨٧

<sup>٢</sup> أصول الدين ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، البغدادي ، ط ١ دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ ، ص ٧٦

<sup>٣</sup> ينظر :تهافت الفلاسفة ، الغزالي ، ص ٢٣٩

<sup>٤</sup> ينظر : غاية المرام في علم الكلام ، سيف الدين الأمدي ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، القاهرة ، سنة ١٣١٩هـ ، ١٩٧١ ، ص ٢١٢-٢٢٠ / ١٦

<sup>٥</sup> ينظر : شرح الجوهرة التوحيد ، ابراهيم بن محمد البيجوري ، تحقيق : عبدالله محمد الخليلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٣م ، ص ٩٨

## نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

" ن القول بأنه لا اثر لقدرة العبد في الفعل هو تكذيب للرسول وتفنيده للشرائع " <sup>١</sup> .  
ولذلك اعترض عليهم متكلمون وفلاسفة بعد ان عرفوا غايتهم ويرد عليهم ابن رشد بقوله :  
" اذا كانت المسببات يمكن ان تفعل لوحدها فلماذا اوجد الله الاسباب ، بل ان وجودها لا  
يخلو من ثلاثة اوجه : وهي اما ضرورة لحاجة الاسباب للمسببات او ان وجودها يكون  
للأفضل او انه لا ضرورة ولا افضل وانما هي بدون قصد ولا حكمة وانما جاءت اتفاقا ولا  
تدل على حكمة الله تعالى ووجوده " <sup>٢</sup> .  
ويؤكد ابن رشد أن ما دفع الاشاعرة لهذا هو :  
" الخوف من ان الطبيعة هي السبب المؤثر في الافعال وليس الله تعالى  
وان العلم صادر عن سبب " <sup>٣</sup> .  
ويرد عليهم ابن حزم بقوله : " ان القول بمعجزات الانبياء كشق القمر والبحر بأنها من قبيل  
العادة قول فاسد فمترادفات العادة في اللغة العربية تعود لمعنى واحد ومن الممكن تبديله او  
تغييره وعلى عكس معنى الطبيعة وهذا مما ينفى الاعجاز عنه تعالى " <sup>٤</sup> .  
ان رد الاشاعرة على الطبائعيين ومنكري الالهوية جعلهم ينكرون الاسباب وهذا خلاف ما  
عليه اغلب الفرق الكلامية ، ولذلك يقول ابن رشد : " لن يكون لدينا شيء ان رفعنا العمل  
بالأسباب لأنه بذلك سيكون ابطال للمسبب " <sup>٥</sup> .  
ويؤكد ابن تيمية : أن القول بقدرة العبد وباقي الاسباب بأن ليس لها دور ووجودها كعدمها  
وان العادة هو اقتران الدليل بالمدلول : " هو جحد لما خلقه الله من الاسباب والعلل " <sup>٦</sup> .  
ويعد ابن القيم ان فصل الاسباب عن المسببات هو اساءة للتوحيد وتسليط للملحدين علينا  
بل ومصادمة للعلم فيقول " ان ترك العمل بالأسباب هو تنفير للإيمان بالله واساءة الظن  
بتوحيد الله وعدم الايمان بالرسول " <sup>٧</sup> .

<sup>١</sup> ينظر : العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، تحقيق الكوثري ، ،  
المكتبة الأزهرية ، ١٤١٢ هـ. ، ص ٤٣ ، ٤٤

<sup>٢</sup> ينظر : الكشف عن مناهج الأدلة ابن رشد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠١٢ م ، ص ٩٠

<sup>٣</sup> ينظر : مقدمة الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، د. محمد عابدي الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،  
١٩٩٨ ، ص ٨٣

<sup>٤</sup> ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ١٥/٥

<sup>٥</sup> ينظر : تهافت التهافت ابو الوليد محمد ابن رشد "ت٥٩٥" ، تحقيق : د. سليمان دنيا ، الجيل ، بيروت ، ٧٨٥/٢

<sup>٦</sup> ينظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن الحنبلي ، ١٣/٨

<sup>٧</sup> ينظر : شفاء الغليل ، ابن القيم ، ص ٤١٧

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

ويحاول الشيخ مصطفى صبري ان يجمع بين الرأيين بقوله " ان الاسباب والعلل والقدرة على تعطيلها والاتيان بالمعجزة هي من قدرة الله تعالى والجمع بينهما ممكن وبهذا يمكن الجمع بين الحالتين " <sup>١</sup>.

وللشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رأي فيقول: " ان الطبيعة ليست لديها القدرة على التأثير بالاسباب واعتماد هذا الكلام هو وهم مهما كان الجمع بينهما مستمر ام دائم " <sup>٢</sup>. ان مذهب أهل السنة لا ينكرون الاسباب الطبيعية وتأثيرها ، لأن الشرع والعقل هو من اقراها وان العبد فاعل للفعل وان الاسباب والمؤثرات تعمل بقدرة الله تعالى وان المخلوقات لها طبائع وقوى موجودة فيها وتتأثر بها .

#### ٤ - قدرة العباد :

اختلفت اراء الفرق الاسلامية من المتكلمين فيما بينها اختلافا كبيرا حول افعال العباد وكان للأشاعرة رأيهم الخاص بهذه المسألة انطلاقا من نظرية الخلق المستمر ، فهم يقررون انه ليس للعباد تأثير في الفعل مطلقاً فإرادة الله تعالى هي التي تحرك الاشياء بتناسق الاجزاء فيما بينها ، كما تتناسق بها حركته الكلية سواء لقوله تعالى " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ <sup>٣</sup> وَقَوْلُهُ تَعَالَى " وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا " <sup>٤</sup>

فالأشاعرة تتفق مع باقي المتكلمين . بأن من يخلق افعال العباد هو الله تعالى وبك الخلاق الي بينهم وباقي الفرق هو كيف تتعلق هذه الافعال بالعباد ومن هو المؤثر فيها. والذي ادى بالأشاعرة هذا القول ونفيهم ان تكون للعبد قدرة هو خوفهم من ان يوجد ذلك مؤثر او مسبب غير الله تعالى .

ان الافعال مخلوقة لله تعالى وليس للإنسان الا اكتسابها وهو مكتسب لها فعلا بما اتاه الله القدرة ، ولا يصح تسميته فاعلا كون الفاعل هو الله وعرفوه بأن: " الكسب هو لا تأثير للقدرة الحادثة عند مقارنتها بالفعل " <sup>٥</sup>.

واختلفوا بذلك عن الجبرية التي تنزع عن الانسان كل قدرة وتأثير فقالت الاشاعرة بالكسب وان للعبد الاختيار بقدرة حادثة منه تعالى.

<sup>١</sup> ينظر: القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون ، مصطفى صبري ، دار السلام ، القاهرة ، ١٩٤٢ م ، ص ٣٠

<sup>٢</sup> ينظر: نقض أوهام المادية الجدلية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، ط٢، دار الفكر ، دمشق ، ، ١٩٧٩ ص ١٦٢ .

<sup>٣</sup> سورة النحل ، الآية ٤٠

<sup>٤</sup> سورة الفرقان ، الآية ٢

<sup>٥</sup> ينظر : شرح ام البراهين ، ص ٤٥



## نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

كذلك فارقوا المعتزلة بقولهم بتأثير العلاقة بين السبب والمسبب. يقول أبو الحسن الأشعري -ت ٣٢٤هـ-: "عن معنى الكسب: هو ما وقع من الخالق وهو الله تعالى بقدرة قديمة والمكتسب ما وقع من بقدرة حادثة"<sup>١</sup>. ويقول أيضاً "ان الفعل من الله تعالى خلقا واحداً ومن العبد كسب بقدرته المجردة والتي أحدثها الله فيه سواء مواكبة للفعل أو قبله أو بعده بقليل وهذا هو ما يسمى كسباً"<sup>٢</sup>. وأما الباقلاني فقد احتفظ أيضاً بالملاحم الرئيسية لنظرية الكسب كما وضعها الأشعري، إذ الاستطاعة حال الفعل: "ان الكسب هو استطاعة الانسان الفعل بالقدرة المحدثة الي لا تبقى زمانين التي لولا ذلك لكان الانسان في غنى عن الخالق تعالى"<sup>٣</sup>. اما إمام الحرمين فقد حاول ان يخرج من إطار الأشعري بقوله "ان الصحيح هو اثبات قدرة للعبد ليس من باب الخلق والاحداث لأن نفيها أو اثباتها من غير اثر لها فهذا امر يأباه العقل وكذلك اثبات التأثير في حالة لا تعقل فهو كنفية"<sup>٤</sup>. وكما معروف عند الأشاعرة أن قدرة العبد الحادثة عرض، والعرض لا يبقى زمانيين، فقدرة الإنسان الحادثة غير باقية وحسب قول الامام الأشعري ان الاستطاعة تكون مع الفعل او مقارنة له وتزول بزواله. ان ما دفع الأشاعرة على التأكيد على ان الكسب متعلق بالقدرة المحدثة في الانسان لا على وجه الخلق والايجاد وموافقته لقدرة العبد للفعل. وبهذا يتبين ان الأشاعرة تقول ان فعل الانسان مختاراً يسمى كسباً لا خلقاً. وقد يؤدي التكليف على هذه المقارنة بهذا الشكل ان ان يتهم الانسان بالعجز، ولذلك قال التفتازاني: "ان الانسان ليس مختاراً في افعاله وان كان يبدو كذلك ولكنه مضطر"<sup>٥</sup> ولذلك قال الرازي تعقيباً على كلام الأشعري في الكسب: "عند التحقيق والبحث نجد ان الكسب هو في غير محله وهو اسما لا يعبر عن الفعل حقيقة"<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ص: ٣٠٤-٣٠٥.

<sup>٢</sup> ينظر: المصدر نفسه، ٩٩/١.

<sup>٣</sup> ينظر: التمهيد، الامام القاضي ابي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م، ص ٢٨٧.

<sup>٤</sup> ينظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني أبو الفتح، المحقق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ - ١٩٩٢، ٩٩-٩٨/١.

<sup>٥</sup> شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني "ت ٧٩١"، دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، باكستان، ٢٦٣/٤.

<sup>٦</sup> ينظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكام والمتكلمين، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، المكتبة الأزهرية، ص ٢٨٨.

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

واما الماتريدي فهو يرى ان العبد ليس مجبرا تماما وليس حرا تماما وانما هو التوسط بين الحالتين وان كان يرى ان افعال العباد هي مكتسبة .

فيقول ايضا " ان الله سبحانه هو من خلق الاسباب على ماهي عليه وان الخلاق هم من يكسبها وهم فاعلون لكسبهم ومختارون وازافتها اليه تعالى امر معلوم " <sup>١</sup>.

ويؤكد الماتريدي على ان قدرة العبد هي اختياره فقط ومن اوجد هذه القدرة هو الله تعالى . اي ان الامر بالطاعة والنهي عن المعصية من الله تعالى وان الانسان يكتسب الفعل بالقوة والاستطاعة المكتسبة من الله تعالى له وبذلك يستحق الثواب والعقاب ، وبهذا يتبين لنا ان الامر منوط بقدرة الله و الاتصاف بكونه طاعة أو معصية هي بقدرة العبد .

وقد تساءل الشيخ أبو زهرة كيف يوفق الماتريدي بين اختيار العبد ، وبين كون الفعل بقدرة الله تعالى و مخلوقاً له سبحانه ؟ مقارناً في ذلك بين الكسب عند الأشعري و الكسب عند الماتريدي.

ويجيب عن ذلك بقوله : " ان الماتريدي يلتقي مع الاشعري في ان العبد مختار بكسبه وعليه يقع الثواب والعقاب ولكن الاشعري يجعل كسب الانسان مقترن بفعل الله تعالى وبذلك لا يكون للإنسان تأثير في كسبه واما الماتريدي فيقول ان الانسان يستطيع الكسب بقدرة خلقها الله فيه وهو بذلك مختار ان شاء فعل وان شاء ترك وبهذا لا ينتفي خلق الله تعالى للأفعال وبين كسب الانسان لها " <sup>٢</sup> .

ويؤكد الامام ابن تيمية ان كسب الاشاعرة لا حقيقة له وان ايجاد الفعل من الله يعطي الانسان القدرة عليه وعندها ليس هناك معنى لما يسمى بالكسب .

وقال ابن تيمية " .. والكلام أن يقال : فعل العبد كسبه ولكنها خلق الله عز وجل " <sup>٣</sup>.

ان الكسب بالنسبة للعبد والخلق للفعل من الله تعالى هو بمنزلة الاسباب والمسببات وان قدرة العبد ومشيتته داخله تحت قدرة الله ومشيتته تعالى .

ويقول الطحاوي " افعال العباد هي كسب لهم وخلق من الله " <sup>٤</sup>.

### المعتزلة

<sup>١</sup> ينظر : التوحيد ، أبو منصور الماتريدي ، تحقيق خليف فتح الله ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ص ٢٢٥ - ص ٢٢٦.

<sup>٢</sup> ينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ١٨٤ - ١/١٨٥

<sup>٣</sup> ينظر: مجموع الفتاوى - ابن تيمية : ٣٨٨/٨

<sup>٤</sup> ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز ، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي - شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ١٤١١ - ١٩٩٠ ، ط٢ ، ص ٤٣٦.

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

وقال القاضي عبد الجبار " اتفق المعتزلة ان القول بأن الله سبحانه هو خالق لأفعال العباد فقد عظم خطؤه لأنه جعل هناك فاعلين فالانسان هو من يحدث افعاله وتصرفاته لأن سبحانه الله اعطاهم القدرة على ذلك ولا فاعل غيرهم " <sup>١</sup>.

اي ان افعال العباد جاءت بقصد منهم واختيار وهم من يستحقون عليها المدح او الذم او الثواب او العقاب ، فإذن لا يجوز إضافتها إلى الله تعالى من المجاز مع ذلك فلم تتكرر المعتزلة علم الله الأزلي ، يقول الخياط " عند المعتزلة ان الله لم يزل عالما بكل شيء بما يكون من افعال الخلق وبمن يؤمن او يكفر " <sup>٢</sup>.

ولذلك حاول ابن رشد التوسط بين الامرين فقال يقول ابن رشد " ان افعال الانسان ليست اضطرارية تماما ولا اختيارية تماما بل هو التوسط بين الرأيين " <sup>٣</sup>.

### ٥- صفات الأفعال :

ان ما قرره الاشاعرة من ان الاجسام تتكون من جواهر واعراض وان العالم حادث ، وان الجواهر تتماثل ولا تحمل ما يميزها عن بعضها البعض والاعراض مرتبطة بالجواهر ولا تبقى زمانيين وان الافعال لا توصف بحسن او قبح وان ما وصفه الشارع هو الوصف الحقيقي .

اي ان الاشاعرة تنظر للفعل نظرا شرعيا لا عقليا قال الباقلاني " ان الحسن ليس حسنا والقبح ليس قبحا من شكله وانما ما وافقه الشرع فهو الحسن وما نهى عنه فهو القبيح " <sup>٤</sup>  
فقد اثبت الاشاعرة للقدرة تعليقيين " صلوحى قديم وهو ما كان منذ الازل وتجزئي حادث " <sup>٥</sup>  
اما الماتريديّة : فيرون أن صفات الفعل هي عين صفة التكوين فهي صفة قديمة ومغايرة للصفات السبع التي يثبتونها وهي قائمة بذاته يوجد بها ويعدم فإن تعلقت بالوجود تسمى إيجادا وإن تعلقت بالعدم تسمى إعداما وإن تعلقت بالحياة تسمى إحياء وهكذا .

يقول الماتريدي: " ان الله تعالى اذا اطلق له الوصف وصف ما يوصف به كالعلم مثلا مما يتطلب ان يكون متصفا به في الازل واذا ذكر معه ما دونه من الاشياء مما له القدرة عليه

<sup>١</sup> ينظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ، ٨/٣

<sup>٢</sup> ينظر : الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم ، ابي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي ، تحقيق الدكتور نبيرج ، القاهرة ، ص١١٨

<sup>٣</sup> ينظر : مناهج الأدلة في عقائد الملة - ابن رشد - ص : ١٤٣ .

<sup>٤</sup> الانصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، الامام الباقلاني ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٣م ، ص٤٩

<sup>٥</sup> ينظر : حاشية الدسوقي على أم البراهين- للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني ، - تصنيف : الإمام العلامة محمد عرفة الدسوقي ، دار إحياء الكتب العربية ، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ص٩٨ ، وانظر ، حاشية إبراهيم البيجوري على متن السنوسية ، ص١٩

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

يذكر معه تعالى وقت حدوث تلك الاشياء كي لا يتوهم البعض قدم هذه الاشياء ولا ينبغي ان يكون الا قديما واحدا وهو الله تعالى " ١ .

ويوضح الامام النسفي بقوله " ان صفة التكوين عند الله تعالى باقية وازلية وتكوينه تعالى للعالم بأجزائه لا يكون في الازل بل في الوقت الذي يريده تعالى وحسب ارادته ويعلمه وقدرته وغيرها من صفاته القديمة التي قدمها لا يستلزم قدم تعلقاتها الحادثة " ٢ .

وقال السفاريني " ..... لقد اثبت الماتريدي والسلف صفة خلقه الله تعالى دون المعتزلة والكلابية والاشعرية تعالى " ٣ .

وقالوا " ان القدرة تجعل الشيء ممكنا لتعلق الشيء بها وامكانية حدوثه لتجعله ممكنا بينما التكوين هو ايجاد الشيء " ٤ .

صفات الفعل بين الأشاعرة والماتريديّة مذهب الأشاعرة في صفات الأفعال كما تقدم أنها صفات تدل على تأثير لها أسماء غير اسم القدرة وتسميتها بهذه الأسماء باعتبار آثارها مثل الخلق والإحياء والاختراع والترزيق .

ويرى الأشاعرة أنها حادثة لأنها تعلقات القدرة التجيزية ؛ فهذه التعلقات حادثة وصفات الأفعال حادثة.

أما الماتريديّة : فيرون أن صفات الفعل هي عين صفة التكوين فهي صفة قديمة ومغايرة للصفات السبع التي يثبتونها وهي قائمة بذاته يوجد بها ويعدم فإن تعلقت بالوجود تسمى إيجادا وإن تعلقت بالعدم تسمى إعداما وإن تعلقت بالحياة تسمى إحياء وهكذا .

#### واما الشيعة الامامية

فقد قالوا " لا يجوز ان نقول انه تعالى لم يزل خالقا فاعلا مريدا راضيا ساخطا رازقا وهابا متكلماً لأن هذه صفات افعال وهي حادثة " ٥ .

اي انه لا يجوز ان نقول ان الله تعالى خالقا قبل ان يخلق او رازقا قبل ان يرزق ولا محييا او مميتا قبل ان يحيي ويميت ، فهي افعال لا يصح نسبتها اليه قبل ان توجد .

<sup>١</sup> ينظر : التوحيد ، أبو منصور الماتريدي ، تحقيق : الأستاذ الدكتور بكر طوبال اغلي ، و الأستاذ الدكتور محمد أروتشي ، دار صادر ، بيروت ، ص ٤٧

<sup>٢</sup> ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٥٤

<sup>٣</sup> ينظر : لوازم الأنوار البهية وسواطع الاثرية ، محمد السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ١٩٨٢ م ، ٢٥١/١

<sup>٤</sup> القول السديد ، لأبي دقيقة ، ٨٧/٢ - ٩٠

<sup>٥</sup> ينظر : تصحيح إعتقادات الإمامية ، الإمام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله ، العكبري ، البغدادي ، تحقيق حسين درگاهي ، دار المفيد ، ص ٢٧

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

وصفات الأفعال عند الإمامية : " ان الصفات الفعلية ترجع الى الله تعالى اي انه نسبها لنفسه ولا يقال خالق او مميت قبل ان يخلق ويميت وغيرها من الصفات التي لا يصح ان تحمل عليه تعالى قبل وقوعها اي انها تجب مع وجود الفعل وليس قبل وجوده ، فهي صفات افعال ترجع اليه تعالى " <sup>١</sup> .

ويقول الشيخ المفيد " ان صفات الافعال التي يوصف الله تعالى بها يصح عدم اتصافه بها كأن يقال انه تعالى غير خالق اليوم ولا رازق لزيد ولا محيي ولا مميت لفلان " <sup>٢</sup> .

### واما السلفية

ويقول الامام الطحاوي ان الله " ليس بعد الخلق استفاد من اسم الخالق ولا بإحداث البرية صار باريا فهو مازال قديما بصفاته قبل ان يخلق الخلق وكان ازليا ولا يزال بعد خلق الخلق كما انه له معنى الربوبية ولا رب غيره ومعنى الخالقية ولا خالق غيره وهو المحيي قبل احياء الخلق والخالق قبل انشاءهم كذلك " <sup>٣</sup> .

### ٦- أفعال الله :

قال ابن القيم رحمه الله : افعال الله " هي الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه بخلقه وأمره ، التي أمر لأجلها وقدر وخلق ، وهي صفته القائمة به كسائر صفاته من سمعه وبصره ، وقدرته وإرادته ، وعلمه وحياته ، وكلامه " <sup>٤</sup> .

واختلف المتكلمون في افعال الله تعالى على مذاهب واء منها :

ذهبت الأشاعرة إلى أن أفعاله سبحانه ليست معللة بالأغراض ، و أنه لا يجب عليه شيء ، و لا يقبح منه شيء ، بقولهم " ان من معاني كماله تعالى ان افعاله لا تكون لغرض ما من اجل استكمال نقصه وحاشاه من ذلك ، لأنه لا يصلح غرضاً للفاعل إلا ما هو أصلح له من عدمه ، و هو معنى الكمال " <sup>٥</sup> .

أي ان الله تعالى خلق العالم وأبدعه ليس من اجل غاية ، ولا من اجل حكمة وكذلك امر ليس فيه له تعالى غرض ما .

<sup>١</sup> ينظر : العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة ال البيت ، الشيخ جعفر السبحاني ، ترجمة جعفر الهادي ، ط٣ ، مؤسسة الصادق ، ص٦٨

<sup>٢</sup> ينظر : تصحيح اعتقادات الإمامية ، الشيخ المفيد ص٤١ .

<sup>٣</sup> ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ١ / ٩٦ .

<sup>٤</sup> ينظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن القيم الجوزية ، المكتبة العصرية ، ٢٠١١ م ، ١٤٣٢ هـ .

<sup>٥</sup> ينظر : المواقف ، ص ٢٣١

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

ودليل الأشاعرة في إنكار الاغراض من خلق الله :

قوله تعالى " لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ " <sup>١</sup>

يقول الامام الرازي " لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى بَحْتَيْنِ: أَحَدُهُمَا: ان الله تعالى لا يُسأل عن افعاله ولم فعل هذا وقد استدل اهل السنة على ذلك بوجوه منها : ان ذات الله تعالى وصفاته منزهة من الاحتياج لعلته وجوده وعدم افتقاره للمبدع والمخصص كون العلة بحاجة لعلته اخرى فيكون هناك تسلسل وهذا امر مرفوض وهو غنيا عن هذا ولذلك كانت ذاته تعالى وفاعليته مقدسة عن الاحتياج للمؤثر " <sup>٢</sup> .

ولذلك قال النفتازاني :

" ان القول بأن افعال الله تعالى تخلو من الحكمة والاغراض هو محل بحث وان تعليل الافعال بالحكم والمصالح امر ظاهر لنا كإيقاع الحدود والكفارات وتحريم المسكرات وغيرها والقول بأن افعاله تعالى تخلو من الحكمة هو مثار اختلاف عند اهل العلم " <sup>٣</sup> .

#### وقالت المعتزلة

وللمعتزلة رأي مخالف لما للأشاعرة اذ يؤكدون ان افعال الله تعالى كلها معللة

قال القاضي عبدالجبار المعتزلي:

" إنَّ الله سبحانه ابتدأ الخلق لعلة ..... ولحكمة ارادها والقول بأنه تعالى خلقهم لاللة او بدون حكمة فهذا يعني العبث منه او انه يفعل الافعال ليس من اجل شئى او معنى وهذا امر لا يرضاه البشر لأنفسهم عندما نقول لأحدهم انك تعبت بأفعالك فكيف بالخالق سبحانه ، وبذلك يتضح لنا ان هناك علة وحكمة من الخلق جميعا " <sup>٤</sup> .

وحسب اعتقاد الأشاعرة عدم وجود علاقة ضرورية بين العلة و المعلول ، اي ان يبقى الامر معلقا ومعتمدا على المشيئة الإلهية لإنجازه ، وهذا الاعتقاد ادى بالغزالي ان يستعيض عن مفهوم العلة و المعلول بما سماه العادة بقوله " ليس ضروريا في العادة ان يكون هناك اعتقاد لإقتران السبب بالمسبب " <sup>٥</sup> .

وفي رده على الزامات الخصوم بحدوث الامور المستشعنة التي تنشر الفوضى لو انكرنا السببية يقول " ان اقتران السبب بالمسبب ليس ضروريا وليس واجبا بل هو ممكنا يجوز ان

<sup>١</sup> سورة الأنبياء ، الآية ٢٣

<sup>٢</sup> ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي ، ١٣١/٢٢

<sup>٣</sup> ينظر: شرح المقاصد ، سعد الدين التفتازاني ، ج٤ ، المقصد ٥ ، الفصل ٥ ، المبحث ٥ ، ص٣٠٢ - ٣٠٣

<sup>٤</sup> ينظر : المغني في أبواب العدل والتوحيد ، القاضي عبد الجبار المعتزلي "٤٢٥" ، ٩٣/١١ : ٩٢

<sup>٥</sup> تهافت الفلاسفة ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، ١/ ٨٨

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

يقع وان لا يقع بل ان استمرار وقوعها وفق العادة الماضية هو ما يرسخ ذلك ترسيخا لا تتفك عنه بأذهاننا<sup>١</sup>.

### وقالت الامامية

يقول العلامة الحلي " ان افعال الله تعالى ليست استكمالا لكماله وليست هي وجوبا عليه وتعليلها بالمصالح هي تفضلا منه على عباده واختار ذلك صاحب المقاصد والماتريديّة<sup>٢</sup> . ولكنه يستدرك فيقول : " ان الاكمل له تعالى ان يكون وجود الفعل اصلح له من عدمه وما كان وجوده مرجوحا قياسا على عدم وجوده لا يكون ذلك عبثا منه وسببا لإقدامه عليه بالضرورة وكان وجوب وجوده اليه أليق من عدمه<sup>٣</sup> .

وقد ردَّ المُحقِّق الطوسي " ت ٦٧٢ هـ " على مذهب الأشاعرة بقوله :

" إن نفي الغرض عن الله سبحانه يستلزم العبث وهو لا يفعل امرا الا لغرض وحكمة<sup>٤</sup> .

اي ان كل فعل وفق قول الامامية لا يقع لغرض فإنه عبث والعبث قبيح والله تعالى اعظم واجل من ان يقع القبح منه وفق ذلك عقلا .

وقد علّق العلامة الحلي على مبنى أستاذه المحقق الطوسي بقوله

ثمَّ ردَّ على كلام الأشاعرة وهو أنَّ أفعال الله إذا كانت معللة بالأغراض فيستلزم النقصان في ذاته والإستكمال بطلب الغرض بقوله : " ان خلق الفعل لا يعود على الله تعالى بالنفع وانما يعود لغيره وبذلك لا يكون منه استكمالا لنقص فيه تعالى اذ ان خلق الفعل كان الغرض منه نفعهم ومصالحتهم اصلا لإستغنائه تعالى عن كل شيء<sup>٥</sup> . وقال الطوسي ويؤكد الطوسي هذا الكلام بقوله " ان الله تعالى كامل وغني وغير محتاج لشيء وان الغرض من الفعل الالهي هو ما يعود لنفع المخلوقات<sup>٦</sup> "

ومن الفرق الكلامية من اتفقت كلمتهم مع الإمامية الاثني عشرية في هذا المنحى هي فرقة المعتزلة والتي قالت بتعليل أفعال الله تعالى وغرضيتها .

<sup>١</sup> تهافت الفلاسفة ، الغزالي ، ص ٢٢١

<sup>٢</sup> نهاية الأحكام ، العلامة الحلي " ت ٧٢٦ " ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ١٤١٠ ، مؤسسة إسماعيليان ، قم ، إيران ، ط ٢ ، ص ٥٤/١

<sup>٣</sup> دلائل الصّدق لنهج الحقّ ، العالم المجتهد الشيخ محمّد حسن المظفر " ت ١٣٧٥ هـ " ، المحقّق والناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ٢٣٣/١

<sup>٤</sup> ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي " ت ٧٢٦ " ، المقصد ٣ ، الفصل ٣ ، المسألة ٤ .

<sup>٥</sup> ينظر: كشف المراد ، الحلي ، ص ١٨٨

<sup>٦</sup> ينظر: تجريد العقائد ، الخواجة نصير الدين الطوسي ، دراسة وتحقيق: عباس محمد حسن سليمان ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦ م ١٩٩٦ م ، المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، ص ١٩٨ .

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

وقال الشيخ الصدوق عن الامام محمد بن علي الباقر عندما سُئل عن افعال الله تعالى وعن قوله \_ لا يُسال عما يفعل - فقال " ان فعل الله تعالى لا يكون فيه الا ما هو حكمة او صواب " <sup>١</sup>.

ابن تيمية

وقال ابن تيمية عن افعال الله تعالى : " ان الله تعالى لا يخلق الا لحكمة ويأمر بحكمة ايضا وهو ما عليه جمهور المسلمين من السلف والخلف ما عدا الذين ينفون التعليل من اهل الكلام اتباع الاشعري ومن وافقه بذلك " <sup>٢</sup>.

٧- المعجزات :

عرفها مجموعة من المتكلمين تعريفات عدة تقاربت في محتواها نذكر منها تعريف النسفي: " إظهار صدق مدعي النبوة بأمر خلاف العادة في الدنيا يعجز عنه من يتحداه بمعارضته بمثله " <sup>٣</sup>.

ان قول الاشاعرة بعقيدة العادة هي الطريق لإثبات المعجزات وان انكار هذه العقيدة هو انكار للمعجزات : " ان القول بأن التلازم بين الاسباب والمسببات ضروريا ولا بد من احدهما للآخر يترتب على ذلك عدم اثبات المعجزات كقلب العصا ثعبان واحياء الموتى وشق القمر ومن جعل مجرى العادة لازمة ضرورية حال ذلك عن " <sup>٤</sup>.

اي عند الاشاعرة انه بالنسبة لقدرة الله تعالى سواء اقترنت بالاسباب ضرورة او جواز فليس هناك مانع من ان يسلب الله تعالى النار قدرتها فلا تعود تحرق كما هي عندما توقفت عن احراق سيدنا ابراهيم عليه السلام .

ولهذا قال مصطفى صيري : " ان مراد الاشاعرة ان المعجزات غير خارقة للعادة كونها لا تخل بقانون السببية الذي اوجده الله تعالى وهو ارادة الله والمعجزة تخرق العادة لتعطيل الاسباب " <sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> ينظر : التوحيد، الشيخ الصدوق: باب ٦١، ح ١٣، ص ٣٨٦

<sup>٢</sup> مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٣٧٧/٨

<sup>٣</sup> ينظر : تبصرة الأدلة في اصول الدين ، الامام ابي المعين ميمون النسفي الماتريدي ، تحقيق د، محمد الانور حامد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ٤٧١/١ .

<sup>٤</sup> ينظر: نهافت الفلاسفة ، الامام الغزالي ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، ص ٢٣٦ ،

<sup>٥</sup> ينظر : القول الفصل ، مصطفى صيري ، ص ٣٠



### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

اي ان المعجزات تحصل بأن يخلق الله تعالى كل شيء بصورة مباشرة وذلك بخلق الاعراض على الجواهر ثم ان فناء الاعراض وحاجتها للخلق المستمر دليل عند الاشاعرة على حاجتها لله تعالى وهكذا تفنى وتخلق ما دام الله يريد لها البقاء وان المعجزات تكون علة هذا المنوال. وللكرامة عند الاشاعرة منزلة لا تقل عن المعجزة فقد قال الجويني في الإرشاد: " جواز انخراق العادات في حق الاولياء والمعتزلة على منع ذلك"<sup>١</sup>.

وعند الماتريديّة يقول أبو المعين النسفي: " ان ظهور الكرامة بطريق نقض العادة جائز للولي"<sup>٢</sup>

### وعند المعتزلة

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي " ان خرق العادة من غير ارسال الله تعالى للرسول ما هو الا عبث ولا تخرق بغير هذا الوجه"<sup>٣</sup>.

اي ان المعتزلة قالوا باستحالة ثبوت الكرامة للولي، واحتجوا لذلك بحجج ظنوها عقلية، فقالوا: إذا أثبتنا الكرامة التي هي خوارق العادات للأولياء، فربما اشتبه الولي بالنبى، وربما اشتبه الولي بالساحر، وربما اشتبه الساحر بالنبى؛ ولذلك نحن نمنع هذا الباب ونغلقه إغلاقاً ويقول ابن رشد: " ان العادة توجب على فاعلها التكرار على الاكثر ولتكون ملكة له ومحال ان تكون لله عادة"<sup>٤</sup>.

ويعترض ايضا ابن حزم على الاشاعرة الى الحد الذي يسمي مذهبهم بالفساد بقوله: " ان قولهم بالمعجزات التي جاء بها الانبياء بأنها خرق للعادة وان شق القمر وشق البحر وغيرها ماهي الا عادات فمعاذا الله من هذا اذ لو كانت هي عادته لما كان فيها اعجاز اصلا لأن للعادة الفاظ مترادفة في لغة العرب فتعني الدأب والدين والدين وهو ما يمكن زواله او وجود غيره بعكس الطبيعة التي يعتبر الخروج عنها امر ممتنع"<sup>٥</sup>.

وقد رفض ابن تيمية مبدأ خرق العادة عند الاشاعرة بقوله " ان القرآن الكريم والاحاديث النبوية وقول السلف لم يرد فيه ان الآية خارقة للعادة ام لا والنبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة لغيرهم"<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> ينظر: الإرشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد، امام الحرمين الجويني، تحقيق: احمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، دار الكتب العلمية، ص: ١٣٠

<sup>٢</sup> ينظر: التمهيد لقواعد التوحيد، لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق وتعليق: د. عبدالحى قابيل، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٥٢

<sup>٣</sup> ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار المعتزلي، ١٨٩/١٥

<sup>٤</sup> ينظر: تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق: سليمان دنيا، ط ٢، دار المعارف، مصر، ج ٢، ص ٧٨٦

<sup>٥</sup> ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، ابن حزم، بيروت، ١٥/٥

<sup>٦</sup> ينظر: النبوات، ابن تيمية، ١٦٥/١

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

وهذا ما دعا ابن القيم الى رفض عقيدة العادة عند الاشاعرة واعتبرها تسيء الى توحيد الله عزوجل بل تعين اعداءه على رسله الكرام " فالقول بعدم حرق النار للأشياء وان السف لا قدرة له على القطع او ان الخبز كذلك لا يشبع او الماء لا يغرق وليس هناك قوة الا قوة الخالق وارادته وافراده بالتأثير عند ملاقاته كذا وكذا وفي هذا سوء ظن بالتوحيد وتنفيرهم عن الايمان بالله <sup>١</sup> .

#### ٨- رؤية الله تعالى

قال الإمام أبو حنيفة ت ١٥٠ هـ " ان الله يُرى في الآخرة حيث يراه المؤمنون في الجنة بعيونهم بلا مسافة ولا تشبيه ولا كمية <sup>٢</sup> .

قال الطحاوي: " ورد في القرآن الكريم ان المؤمنون اهل الجنة سوف يرون ربهم تعالى من غير احاطة او كيفية <sup>٣</sup> .

اختلف المعتزلة - بعد اتفاقهم على نفي رؤية الله تعالى بالبصر والنظر - هل يرى بالقلوب؟؟ فقال أبو هذيل وأكثر المعتزلة " الرؤية عند المعتزلة هي بالقلوب بمعنى العلم به. وانكر ذلك عباد بن سليمان <sup>٤</sup> .

يقول الغزالي " يمكن القول ان العلم بالقلب او الدماغ هو الادراك وكذلك الابصار بالقلب او العين <sup>٥</sup> .

أي أن المنفي هو الإحاطة لا مطلق البصر، بمعنى أن رؤية المؤمنين ربهم لا تعني أنهم يحيطون به سبحانه، ولا أنهم يدركون برؤيتهم له حقيقة ذاته : " هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم، وبصره محيط بهم <sup>٦</sup> .

وقال الامام الجويني : " ان كل موجود يجب ان يُرى والرؤية تتعلق بصفات الشيء من حيث الجواهر والالوان والرؤية تعول عليها بمدارك العقول وهي غير متعلقة بالاحوال التي

<sup>١</sup> ينظر : شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية أبو عبد الله ، المحقق: الحساني حسن عبد الله ، دار التراث ، القاهرة ، ص ٤١٧

<sup>٢</sup> ينظر: شرح الفقه الاكبر ، ملا علي القاري الحنفي " ت ١٠٠١ " ، دار الكتب العربية الكبرى :، مصر ، ص/ ١٣٦ - ١٣٧

<sup>٣</sup> ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز ، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي - شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١١ - ١٩٩٠ م ، ص ١٢٩

<sup>٤</sup> ينظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين ، للفاضلي عبد الجبار ، تحقيق : فواد سيد ، دار التونسية للنشر للنشر ، تونس ، ط ٢ ، ص ٦٣

<sup>٥</sup> ينظر : الغزالي في الاقتصاد ، ص ٩٥

<sup>٦</sup> ينظر : تفسير الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري " ت ٣١٠ " ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ٧٢/٤

### نظرية الخلق المستمر في الفكر الكلامي

تميز الاشياء عن غيرها وهي ليست ذوات والادراك لا يتعلق الا بالوجود ورؤية الموجود تلزم رؤية كل موجود " <sup>١</sup> .

اي ان الاشاعرة تؤكد على ان الرؤية عرض وهو مرتبط بالجوهر والاعراض تزول وهي من خواص الاجسام والله تعالى ليس جسما كي تحل الاعراض فيه وما يتطلب ذلك من مواجهة او مقابلة او تعدد جهات وبذلك تنتفي الرؤيا في الدنيا .

اي أنّ الرؤية في دار الدنيا إنما تتوقف على الجهة والمقابلة لوجود ما يمنع من إدراك غير المقابل الذي يكون في جهة في أبصارنا ، ولو رفع الله عز وجل ما يمنع من رؤية غير المقابل ومن غير الجهة تم ذلك لنا وهذا ما سيكون بالآخرة .

لذلك يقول الايجي " اننا لا نرى الله تعالى في الدنيا لأن العادة جرت بذلك وليس هناك ما يمنع ان يخلقها الله فينا والحقيقة لا تأخذ من العادات وخصومنا ينكرون ذلك " <sup>٢</sup> .

اي ان الرؤية عند الاشاعرة بلا جهة ولا مقابلة ، وانما هو خلق يخلق الله في الشخص عند مقابلته للآخر والمقابلة ليست شرطا ولكن جرت العادة بذلك بأن يخلق الله الرؤية عند المقابلة وليس هناك تلازم بين المقابلة والرؤية كما اكد على ذلك متكلمي الاشاعرة .

قال ابن تيمية " نحن لا نرى الله في الدنيا لعجز ابصارنا وليس لإمتناع الرؤية بل لعجز الرائي كالذي ينظر لشعاع الشمس فيضعف عن رؤيتها فاذا كانت الآخرة يكمل الله تعالى قوة الانسان حتى يطيقون رؤيته تعالى " <sup>٣</sup> .

### الخاتمة

اجدني بعد حمد الله تعالى ان وفقني لإكمال هذا البحث المهم الذي شغل بال المتكلمين والفلاسفة والفقهاء وكانت السجلات حادة والى حد التبذير والاتهامات والتسفيه ، وكان التوحيد يشغل بال الجميع .

ولأن الدين الاسلامي يعد التوحيد هي قضيته الاولى فلا بد ان يعرج المتكلمون على مسألة خلق الانسان وكان لابد للمتكلمين المسلمين ان يخالفوا الفلاسفة في نظرتهم للوجود والخلق فكانت اراء المتكلمين حول الجوهر الفرد مختلفة عن اراء الفلاسفة كي تكون النتيجة مختلفة ايضا .

ومن ضرورات الجوهر الفرد ان يصل لجزء متناهي بالصغر ولا يتجزأ كي لا يصلوا الى نتيجة انه قديم كما يدعي الفلاسفة ، وهذا القول بالحدوث حدى بهم الى القول بنفي الاسباب

<sup>١</sup> ينظر: الإرشاد ، الجويني ، ص ١٧٧ .

<sup>٢</sup> ينظر : المواقف ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

<sup>٣</sup> ينظر : مجموع الفتاوى ، ٥١٢/٦ .

أ. م. د. عثمان احمد ابراهيم الكبيسي

ولا تأثير للمسببات في مسبباتها بحيث ان قدرة الله تعالى هي وحدها الفاعلة وان العرض لا يبقى زمانين وان الخلق متجدد ولا شيء قديم لتبدل الاعراض من حال الى حال .  
وبما ان دراستنا تحليلية فقد تطرقت الى الترجيح بين اراء المتكلمين والتي وصلت الى حد التناقض والاتهام بالقصور الذهني فيما بين الاشاعرة والمعتزلة وباقي المتكلمين واتباع التيار السلفي .

والحمد لله رب العلمين

### النتائج

بعد نهاية بحثنا توصلت الى مجموعة من النتائج وهي :

1. ان الفلسفة اليونانية كانت احد الاسباب لمباحث الجوهر الفرد في المجتمع الاسلامي .
2. كان لا بد للمتكلمين المسلمين ان يهجوا نهجا خاصا بهم ويستفيدوا به من الفلسفة اليونانية لمواجهة التحديات المحيطة بهم
3. ان السبب في قول الاشاعرة بأن العرض لا يبقى زمانين هو أنهم لا يرون أثرا لمؤثر غير الله ، وان العرض مرتبط بالجوهر وكلاهما بحاجة الى مؤثر يؤثر فيهما، وان الله هو من خلق هذه الاعراض دون وساطة . بينما المعتزلة تؤمن بالمؤثرات ويتولد الافعال ونسبتها الى الانسان .
4. ان نظرية الخلق المستمر التي قال بها الاشاعرة ماهي الا احدى المحاولات للرد على الفلاسفة ممن يلحد بالله تعالى او من يقول بقدم العالم وذلك بإثبات حدوث الاعراض وان العالم حادث ويحتاج الى محدث .
5. يعد بعض متكلمي الاسلام كابن حزم وابن رشد قول الاشاعرة عن معجزات الانبياء بأنها خرق للعادة هو هروب من قول الفلاسفة بتأثير الطبيعة في الخلق والتأثير .
6. كان الدفاع عن العقيدة الاسلامية هو الهم الشاغل للفرق الاسلامية من الاشاعرة والمعتزلة و ابن تيميه وابن حزم وابن رشد وغيرهم ومهما كانت ردود بعضهم قاسية فهي لا تخرج من هذا الاطار .
7. قد تكون الابحاث العلمية الجديدة نفت الكثير من المبادئ والافكار الكلامية التي استند اليها متكلمي تلك القرون ولكن هذا لا يقلل من جهودهم المباركة في رقد الحركة العلمية والدفاع عن الاسلام امام الفرق الهدامة .

## The theory of continuous creation in verbal thought

a . D. Othman Ahmed Ibrahim Al Kubaisi  
University of Anbar / Faculty of Islamic Sciences

### Introduction

Praise be to Allah. Praise be to God, peace and blessings be upon our master Muhammad and his companions and after:

The questions of speech were, and continue to be, of interest to scholars of different faiths, as they were the subject of great controversy among all the Islamic groups, especially algebraic, and Almtazdl, and the Sunnis of the poets, Matridip and advances, but these issues are still under consideration, In this context, the verses of the Holy Quran affirmed the freedom of the use of reason and diligence in analysis and reasoning, in addition to the influence of verbal thought on the heritage of previous civilizations and religions. This led to discussions that were not at the core of the Islamic faith that imposed internal intellectual challenges on them. Challenges in defense of Islamic faith.

When considering their opinions, we find that the jurisprudence has a great share and the defense of the Islamic faith is their main concern in the development of ideas and opinions and theories to defend the doctrine.

In this research we discussed definitions in the science of speech such as substance, presentation, etc., which requires the student of the Islamic faith to know its principles and knowledge of the views of the Islamic groups in the definition of these concepts and the contained rules of the whole to understand the issues of words.

The importance of the research is also to clarify the issue of habit in the Islamic difference between the originator as a cornerstone of the view of philosophers and speakers and is not about the weighting of views as much as the purpose of the researcher is the presentation of those views and also identify some of the sayings of philosophers and their impact on some Islamic scholars of Islamic philosophers.

I have collected the relevant texts and studied them in an analytical study and compared them among the philosophers and speakers. The research was divided into an introduction and two papers. The first was entitled Principles of Greek Philosophy and theology and the second topic is the theory of continuous creation and the conclusion.